التنظير التربوي والمدرسة الحضارية في الفكر الإسلامي المعاصر

النظرية التربوية عند مالك بن نبي نموذجا (1905- 1973)

قراءة في كتاب " مقومات مشروع بناء إنسان الحضارة
في فكر مالك بن نبي التربوي " لعمر النقيب

أ. إبراهيم بوترعه
أ. بوجمعة نقبيل
قسم علم النفس -جامعة المسيلة-

" إن الكتب والأفكار هي التي تؤثر في التاريخ إنها العواصف التي تغير وجه العالم "

(مالك بن نبي)

المفكر الجزائري الكبير والأصيل في طرحه، المهندس مالك بن نبي، نصنفه من حيث جدة وجدية الطرح في مصاف العلماء الكبار، مثل ابن خلدون، وباقر الصدر وعلي شريعتي. هو من نظر للتاريخ والحضارة وطرح نظرية تربوية متكاملة من خلال جهوده الفكرية، اهتم بدراستها وكشف النقاب عن مختلف أوجهها الكثير من الباحثين والمفكرين. ومازال لفكره وجهوده وطرحه صدى في العالمين العربي والإسلامي وكذا الغربي. كما هو متداول فكره ونظريته في التربية من خلال أعماله العديدة القيمة والمتكاملة. وهذا نموذج من النصوص المتداولة والمقاربات التدريسية بجامعاتنا، على مستوى تخصصات علوم التربية، تعرف بتنظيره التربوي، من خلال تحاليل بعض الباحثين والمهتمين

بفضاءات التربية، نعرضه على القارئ لتعم الفائدة... فلعل أجيالنا تعي بعمق ما جاء في أعمال هذا المنظر للتاريخ والحضارة والتربية وتتمثل معارفه وسلوكه وأخلاقه...

أولا- معالم من سيرته وفكره:

ولد المفكر الكبير مالك بن نبي في الفاتح من جانفي 1905 بمدينة قسنطينة. تدرج في المراحل التعليمية في كل من مدينة تبسة وقسنطينة. ترعرع بين المدرسة القرآنية والمدرسة الابتدائية الفرنسية ثم التكميلية وثانوية التعليم الفرنسي الإسلامي حيث نال شهادته سنة 1925. اشتغل مترجما بالمحكمة الشرعية، ولم يجد وظيفة في ظل النظام الاستعماري. انتقل بعد ذلك إلى فرنسا لمواصلة دراساته سنة 1930، ليتخرج مهندسا في الكهرباء في معهد الهندسة الكهربائية سنة 1935، بحيث يعد أول مهندس جزائري في هذا التخصص. بدأ الإنتاج الفكري سنة 1946 بنشر كتابه الموسوم "الظاهرة القرآنية". اهتم بالتنظير للتاريخ والحضارة، و بنى أعماله على القيم والثقافة الإسلامية وعلوم الغرب. جاء فكره متميزا وطرحه عميقا كونه تمتع بثقافة مزدوجة عربية إسلامية من ناحية وغربية من ناحية أخرى، كما تشرب بتكوين علمي متين؛ ذلك مما جعله يبدع في معالجته لمشكلات الحضارة ومسائل الثقافة والتغيير وتربية الإنسان للخروج به من القابلية للاستعمار نحو النهضة والجهد ومواجهة الاستعمار والدخول في دورة حضارية جديدة. ففي هذا الإطار نادى بالابتعاد عن الأفكار الميتة والمميتة التي يريد المستعمر غرسها في النفوس، والعودة نحو الإسلام باعتباره قوة دفع حضارية تعيد للأمة الإسلامية مجدها ومنعتها وقوتها في ظل توظيف الفكرة الدينية، وتوفير جملة من الشروط، هي شروط بناء الحضارة المتمثلة في الإنسان والزمن والتراب والفكرة الدينية. تلك هي معادلة نظرية مالك بن نبي الجزائري الخاصة حول بناء الحضارة.

نشر نصوصا ومقالات عديدة بين سنتي 1946 – 1973 بلغت حوالي 322 ضمنها نسقه المفاهيمي الخاص حول العلاقات بين التربية والسياسة والثقافة والحضارة في إطار إعادة بناء الإنسان والنهوض بالمجتمع، منطلقا في ذلك من النفس البشرية على منوال ما جاء في نهج التغيير الإسلامي مسترشدا بالآية الكريمة "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم "(الرعد، 11). أما

مقالاته فهي شاهد على جهوده وصدرت في صحيفتي "الجمهورية الجزائرية" و"الشاب المسلم". واهتم بفكره ونشر أعماله وكيله عمر مسقاوي.

نشط ندوات ومحاضرات عديدة في القاهرة أثناء الثورة وبعدها في الجزائر، بحيث تقلد منصب مدير التعليم العالي بين سنتي 1964- 1967. وقدم استقالته في هذه السنة الأخيرة ليواصل مشوار إبداعاته الفكرية، ونشر أفكاره في الداخل والخارج. و كان ينشط ندوات أسبوعية في بيته وهو صاحب فكرة الملتقيات الإسلامية السنوية التي امتدت لأكثر من عشرين سنة. كما واصل كتاباته في صحيفة "الثورة الإفريقية" إلى غاية سنة 1968، مهتما بمختلف المواضيع ومنها الاقتصاد والمجتمع وأفكار النهضة الإسلامية، سعيا للخروج بالمجتمع من ظاهرة التكديس إلى التوظيف والبناء الحضاري... برزت نشاطاته في مسجد الطلبة بجامعة الجزائر المركزية خصوصا، بذلك ساهم في تنوير العقول وتكوين الأجيال والدعوة إلى الحق، إلى أن توفي رحمه الله بالجزائر العاصمة في 31 أكتوبر 1973تاركا وراءه زادا ثريا وحصيلة جملة من الأعمال النيرة والتوجيهات الأصيلة المتميزة، نظرية متكاملة حول النهوض بإنسان الحل وبناء حضارة تتلاقح فيها جهود الشعوب والأمم وتسعد بها الإنسانية جمعاء، فلعل أجيال القرن الواحد والعشرين تتفطن إلى أفكار وأعمال وجهود هذا العالم القدوة والمفكر الجزائري الفذ، التي تحمل في رحمها نظرية تربوية واضحة المعالم، اهتم بإبراز ملامحها وأسسها وتفاصيلها مفكرون وباحثون منهم عمر النقيب والسحمراني والطيب برغوث وغيرهم.

لقد ساهم **مالك بن نبي** بأعماله الفكرية مساهمة فعالة وجادة ذات طبيعة حضارية لمعالجة المشكلة الإسلامية التي هي في جوهرها تربوية على اعتبار مركزية العامل الإنساني فيها، والمعالجة من هذا المنظور ستختصر الجهد والوقت والمال. فمنظور مالك بن نبي المتميز بهذه الطبيعة له الأثر الدائم على الأوساط الفكرية الإسلامية المنظرة لحركات النهوض والإصلاح والبناء، ما جعل تبنيها لهذا المنظور واضحا معلنا معترفا به، لتميزه بمنهجيته في تناول مشكلات الفرد ومجتمعه والحضارة ككل، ومن هؤلاء المتأثرين نذكر منهم **جودت السعيد** و**عمر عبيد حسنة** من سوريا، و**راشد الغنوشي** من تونس، و**حسن الترابي** من السودان[1]، **والطيب برغوث** من الجزائر.

إذ اعتبر هذا المنظور في الكثير من الدراسات النقلة النوعية في تأصيل مناهج الفكر والتعاطي مع المشكلات الحضارية التي تطرق لها ابن نبي وتعمق في أدبياته ذات الأبعاد التربوية. ولقد اعتبرت نظرية الحضارة للمفكر **مالك بن نبي** هي توسع للصياغة المنهجية الدقيقة لمشكلات الإنسان الذي أصّله العلامة ابن خلدون في نظريته للدولة. فتميز ابن نبي في طرح أفكاره الإصلاحية التي لا تزال خاما لم تستثمر بعد، وتشكل هذه الصفة حسب بعض المفكرين حافزا لتكثيف الجهود العلمية الممنهجة للكشف عنها وتفعيلها وتجسيد بنائها وتطوير نسقها.

طبيعة أفكار مالك بن نبي التربوية:

لقد كان مالك بن نبي المنظر التربوي المستتر في الأوساط الأكاديمية، إلا أنه تمكن من خلال طرح فكره الحضاري من تناول المشكلة الإسلامية ذات الجوهر والأبعاد التربوية. ذلك الطرح أو ربما عدم الإلمام بما جاء في أعماله هو الذي جعل الكثيرين من المهتمين بفكر مالك بن نبي يعتقدون غيابه عن مجال التنظير التربوي على اعتبار أنه فيلسوف حضارة. إلا أن **عمر النقيب** في دراسته وتناوله بالتحليل لفكر مالك بن نبي يؤكد الحضور المستمر أو ما سماه "**الفكر المقولب**" لابن نبي في تناوله للمشكلة التربوية.

رغم الكم الهائل من الدراسات التي اهتمت بفكر مالك بن نبي، إلا أنها عجزت على الكشف الواضح لأفكاره التربوية واستغلالها كأساس للتنظير التربوي في الجزائر أو في العالم الإسلامي على اعتبار أن تلك الأفكار ذات طبيعة دينية وهي تعكس بذلك نظرة بن نبي لطبيعة الدّين ومركزيته ووظيفته في حياة الإنسان الذي يراه متدينا بالفطرة.

وهكذا يبدو واضحا أن مالك بن نبي اعتمد الإسلام كإطار مرجعي أساسي لصياغة منظوره المنهجي في تناوله للمشكلات الإنسانية بمختلف أبعادها، كما تتجلى رغبته وسعيه في إعادة المكانة الطبيعية الوظيفية للدّين في حياة البشر بحكم فطرتهم الدينية (التدينية)؛ وعليه فالأساس الأنطولوجي والبعد الأكسيولوجي مبنيان على أساس ما جاء به وحي السماء من قيم وأخلاقيات وعقيدة دينية.

الصياغة المفاهيمية للمشكلة التربوية:

إن ضرورة التحكم الدقيق في الآليات المنهجية التي تمكّن من الفهم الصحيح لمختلف المشكلات الإنسانية هي النقطة التي أراد بن نبي وفي سياقات مختلفة أن يلفت إليها نظر المفكرين المسلمين والتي ستؤدي حتما إلى علاج مشكلة أساسية هي المشكلة الإسلامية وبالتالي تجاوز المقاربات الجزئية لمعالجة تلك الأعراض (المشكلات الإنسانية) وفق صياغة وطريقة منهجية شمولية محكمة متكاملة ما يفضي إلى القدرة على الرّبط بين المشكلة وأسبابها وأعراضها وطرق وآفاق الحل والعلاج والوقاية أي كل العناصر.

إن نجاح هذه النظرة الشمولية تستدعي الإيمان بمبدأ الأمة الواحدة والانتماء العقائدي والثقة بالذات ومستوى من الشعور الجمعي لاستئناف دورة حضارية إسلامية تاريخية جديدة.

كما أن صياغة المشكلة التربوية في بعدها الحضاري إنّما هي رؤية تنمّ عن فهم دقيق لقوانين التاريخ والسنن التي تتحكم في قيام الحضارات وسقوطها. فالربط بين التربية والحضارة إنما هو إدراك واضح لحقيقة العلاقة العضوية والوظيفية بين كل من فلسفة الحضارة وفلسفة التربية[2].

صياغة مفهوم التربية:

تم تناوله من عدة أوجه كمفهوم وإجراء ووظيفة أشمل وأعم ذات علاقات عضوية مع فضاءات حضارية أخرى. فلقد ارتبطت الإشارة للتربية عند مالك بن نبي ارتباطا ملازما للحضارة، إذ يرى أن البناء الحضاري هو مبرر وجود التربية، فهي بذلك أداة لتحقيق معاني التحضر في الحياة الإنسانية، كما هي وظيفة شمولية واقعية تحقق معنى للوجود البشري عبر التاريخ.

المفاهيم التربوية المفتاحية لتناول الفكر التربوي عند مالك بن نبي:

إن الشكل العرضي الذي تم به تقديم تعاريف للتربية لمالك بن نبي حسب السياق والقضية ذات الصلة (بالتربية) جعلها تتباين ظاهريا رغم اشتراكها في الدلالات تحت لواء الرؤية الفكرية المتكاملة قصد تحضير الإنسان وتأهيله للمساهمة في بناء المجتمع التاريخي، فصاغ بن نبي مفهوم التربية معرفا بالموضوع والأداة والوجهة الغائية للمشروع قائلا: «ليست التربية مجموعة من القواعد

والمفاهيم النظرية التي لا سلطان لها على الواقع، على عالم الأشخاص وعالم الأفكار وعالم الأشياء، وليست هي من إنتاج المتعالمين وبحار العلوم، الذين يعرفون جميع كلمات المعاجم دون أن يلموا بما تترجم عنه هذه الكلمات من وقائع، خيرا كانت أو شرا... بل هي وسيلة فعالة لتغيير الإنسان وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه، وكيف يكوّن معهم مجموعة القوى التي تغيّر شروط الوجود نحو الأحسن دائما، وكيف يكوّن معهم شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ»[3].

إنّ الارتباط العضوي بين التربية و**الحضارة** البارز في هذا التعريف في نظر مالك يدل على العلاقة التكاملية بين المفهومين، إذ لا يمكن تناول أحدهما بمعزل عن الآخر، إذ أن البعد الحضاري يتجلّى كبعد أساسي في مفهوم التربية. La relation organique entre l'éducation et la civilisation

كما أن مالك بن نبي في تناوله لمفهوم التربية كعملية منهجية هادفة (موضوعها وأداتها وهدفها الإنسان) ناقش مشكلة **الثقافة**، la culture إذ يعرف التربية أنّها عملية تشمل ما يمتصه الفرد في وسطه الاجتماعي من عناصر ثقافية ذات المحتوى التربوي على اعتبارها انعكاس للمناخ النّفسي والاجتماعي للفرد، وعلى اعتبار أنها عملية **إدماج** الفرد في المجتمع وتأهيله للقيام بدوره الاجتماعي المناسب لاستعداداته الفطرية ومهاراته المكتسبة[4] l'intégration sociale.

واقترح بن نبي تعريفا آخر للتربية والإدماج عنده لا يعني بالضبط ما يعنيه علماء التربية عند إشارتهم إلى عملية التطبيع الاجتماعي التي تستلزم تأهيل الأفراد لاندماجهم في واقع موجود ذي نظام اجتماعي قائم، بعد ما كان فردا خاما، سيتأهل لإنجاز مشروع بناء المجتمع التاريخي المتحضر.

كما اهتم بن نبي بفكرة **التوجيه** للدور التربوي الفعّال الذي يمكن أن يقوم به كأداة للعمل التربوي والاجتماعي والتنظيمي والسياسي l'orientation efficace du rôle de l'éducation ، فغياب هذه الأداة سيعطل أجيالا عن الاضطلاع بمهامها التاريخية لأنها لم تكتمل وهذا يستحضر الحديث الشريف: **«إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»**.

طرح بن نبي مشكلة **الفعالية** l'efficacité التي تستلزم طرح مشكلة الكم والنوع في علاقة جدلية، تلك المشكلة هي جوهر السياسة التربوية المرتبطة أساسا بالغايات الكبرى للمنظومة التربوية. فتطرق بن نبي في هذا السياق إلى فعالية وعدم فعالية التعليم، ومشكلة إدارة الوقت وفعالية الوسائل وطبيعة المناهج التربوية، وبالتالي مشكلة الإنسان الفعّال؛ هذا الأخير يمثل مشكلة إنسان ما بعد الموحدين جاهلا أم متخلفا.

نخلص إذن إلى أن معجم مالك في مقاربته لمشكلات الإنسان والحضارة معجم ثري ومتنوع وعميق الطرح متكامل. والأفكار عند مالك هي التي قد تقتل على المستوى النفسي قبل انهيار وهلاك الجسم؛ لذا فهو يحدثنا في نصوصه عن الأفكار الميتة والأفكار المميتة، القاتلة والوعد الأعلى والوعد الأدنى والقابلية للاستعمار وإنسان الموحدين وكون الحضارة توظيفا وليست تكديسا، والفعالية وما إلى ذلك من مفاهيم مفتاحية متناسقة ومتكاملة (أنظر: محمد الهادي الحسني). وهو من ناحية أخرى ينبه إلى مستويات للفعل هي مستوى عالم الأشياء ومستوى عالم الأشخاص وكذا مستوى عالم الأفكار، وأخطرها مستوى فضاءات عالم الأفكار، بحيث إذا تحكم فيها المستعمر فلقد تحكم في كل شيء. وتدل هذه التحاليل والبناء المعرفي والجهد المنطقي لا محالة على عمق طرح هذا المنظر.

ثانيا – أسس النظرية التربوية في فكر مالك بن نبي:

رغم عدم تناول بن نبي للتربية كمرب متخصص، إلا أن أفكاره التربوية الصريحة منها والضمنية، تم التعرض إليها بالدّراسة والتحليل وقام بصياغتها عمر النقيب في دراسته السالفة الذكر، مشيرا أن ما قام به بن نبي يندرج تحت إطار ما يسميه **مور** (Moore T .W) "النظريات العامّة للتربية" على اعتبار أن هناك نوعين من النظريات التربوية "العامة والخاصة"، بناء على الاصطلاح الذي استخدمه **مور** في كتابه الموسوم "**مقدمة في النظرية التربوية** "؛ إذ أن النظريات التربوية العامة تتضمن محاولة صياغة مجموعة من الأفكار تتعلق بالنموذج التربوي المنشود لكل من الفرد والمجتمع، هذا بصفة الإجمال، أمّا بصفة التفصيل فالقضية مرتبطة بصياغة أعمق وأكثر إجرائية

لمجموعة من الافتراضات حول كل من طبيعة الإنسان والمجتمع والمعرفة وغايات التربية لتشكل اندماجا وتكاملا للنموذج التربوي المنشود تجسيده على أرض الواقع[5].

كما أنّه من المعروف أن الأفكار التربوية تستند إلى موقف فكري سياسي يتعاطى مع معطيات الواقع الفعلي السائدة في المجتمع، هذا وقد اهتم بن نبي – بالإضافة إلى اهتمامه بالتحليل النقدي لحركات النهوض والإصلاح– بمدى فعالية السياسات التي تبنتها الأنظمة القائمة في مرحلة ما بعد الاستقلال التي وجدها فشلت في تحقيق الإقلاع الحضاري؛ بذلك اتجه في فكره نحو محاولة إبراز الشروط العلمية الموضوعية التي تساعد على صياغة مشروع الإصلاح والنهوض والبناء الثقافي والحضاري لبلاد ما بعد الاستعمار، ولقد لازم ظهور هذه الفكرة إنشاء بن نبي ما سماه علم الاجتماع ما بعد الاستقلال.

وقد ضرب مالك بن نبي لذلك مثالا بتجربة الساسة الاندونيسيين عندما استقدموا في الخمسينيات من القرن الماضي الخبير الاقتصادي الألماني الناجح شاخت (1977-1970 Horace SCHACHT) لوضع علاج لمشكلاتهم الاقتصادية ظنا منهم أن نجاحه في بلاده يستلزم بالضرورة النجاح في كل مكان، فكان الفشل بسبب إهمال الخصوصيات النفسية والثقافية والحضارية لطبيعة المشكلات الثقافية والحضارية للمجتمع الإندونيسي التي تختلف عن تلك الخاصة بالمجتمع الألماني .

من خلال ما تم التطرق إليه، يمكن استخلاص أن مالك بن نبي ركّز في صياغته لأسس النظرية التربوية على الشخصية الإنسانية المسلمة على اعتبار أنها العامل الرئيسي في "المشكلة الإسلامية". وبالإضافة إلى اعتماد التنظير التربوي أسسا تركز على تحليل طبيعة الإنسان والمجتمع والمعرفة وغايات التربية، فهو يعتمد بذلك على فروعها كالمحاور العامة للمناهج والطرائق العملية الإجرائية الخاصة بالموقف التعليمي في غرفة الصّف، وهذا ما لم يتطرق إليه مالك بن نبي لأنه صب تركيزه واهتمامه على مشكلة النموذج التربوي لا على الطابع الإجرائي للعملية التربوية.

طبيعة الغايات الكبرى للتربية:

إن ما ميّز فكر بن نبي منهجيته في معالجة مختلف قضايا المشكلة الإسلامية ذات الجوهر التربوي، فمنهجيته تلك تنطلق في التشخيص ثم العلاج بتحديد مختلف عناصر المشكلة والتحكم فيها بالتحليل والتفسير واستشراف الاحتمالات وطرائق علاجها، وعليه تحدد الغايات التربوية التي تمكن من إخراج البشرية من حالة التيه إلى الرشد الحضاري .

أمّا فيما يتعلق بالغايات التي اقترحها مالك بن نبي فيمكن مناقشتها من زاويتين هما: مدى تعبيرها عن المشكلة التربوية التي جعلها المنطلق في أي تفكير يتجه إلى إصلاح أوضاع المجتمع، ومدى تعبيرها أيضا عن الرّوح القرآنية – في فكر مالك بن نبي– باعتباره رجلا مسلما التزم بقضية أمته. بالنسبة للزاوية الأولى، فلقد حرص مركزا على جعل الإنسان المسلم متحضرا بعد إعادة تشكيل شخصيته وتأهيله للاندماج المنسجم في المجتمع بعدما أصبح إنسان ما بعد الحضارة المتحلل من كل مؤهلات الفعل الحضاري. أما بالنسبة للزاوية الثانية وبناءا على ما كان يستشهد به بن نبي من آثار، كما بالقول المأثور للإمام مالك بن أنس: " **لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها**"، فالمسألة ليست في أصل المشكلة وإنما فيما يمكن الاصطلاح عليه بالجوانب الإجرائية أو الشكلية ذات العلاقة بملابسات الزّمان والمكان[6].

فهو يدعو بذلك إلى تفعيل الوظيفة الاجتماعية للدين اعتقادا منه ويقينا بأهميته وموقعه في حياة البشر كحقيقة تتحكم في فكرهم وسلوكهم بحكم فطرتهم التديّنية الطّبيعية، وفي هذا السياق أشار عمر النقيب إلى طبيعة العلاقة بين العلم والعمل من وجهة نظر شرعية، إذ أن مبرر وجود العلم هو العمل، كما أن مبرر وجود الدّين هو سياسة الدّنيا به.

مركزية العامل الإنساني في منظور مالك بن نبي لتناول المشكلة التربوية:

لقد أدى تحليل مالك بن نبي في رؤيته للتطور التاريخي للحضارة الإسلامية إلى نتائج مفادها أن العامل الأساسي لمشكلات بلاد المسلمين هي تخلف الإنسان المسلم؛ وبناء عليه اعتبر بن نبي أن بداية العلاج بعد هذا التشخيص لسبب مشكلات الحضارة الإسلامية، هو تأهيل الشخصية

الإسلامية بعد إعادة صياغتها وظيفيا حضاريا وبشكل فعّال ليصبح بذلك إنسانا مسلما متحضرا مؤهلا للقيام بوظيفة الشهادة بالمعنى القرآني، وما هذا إلا من قبيل التأكيد لمالك بن نبي على هذه الحقيقة القرآنية والمرجعية الأساسية التربوية في الإسلام وبسط لأبعادها العملية في واقع الحياة البشرية.

ثالثا- شهادات على هامش الملتقى الدولي حول فكر مالك بن نبي:

أ)- شهادة عمر كامل مسقاوي صديق مالك والوكيل الحصري لأعماله:

«كان مالك بن نبي رجلا سابقا لزمانه، والكثير من أفكاره ما تزال صالحة وكأنها لم توجد إلا لهذا الزمان، لهذا فأنا أعتقد أن أي حركة حضارية لا بد وأن تمر بفكر مالك بن نبي، وأن أي ثورة حضارية لا بد وأن تنطلق عبر أفكاره بمرجعية إسلامية عربية... مع التفتح على تعلم اللغات الأجنبية... وهناك بداية لاستيعاب بعض أفكار مالك في بعض الأقطار العربية... وبرأيي، في مستقبل فكر مالك بن نبي الذي أراه قابلا للتطبيق والتجسيد، لكنه مرهون بتقبل الدولة أو الحكومة بتغيير المناهج وخطط التربية وفق مناهج مالك بن نبي في إطار تخطيط مستقبل الوطن وهذا الذي كان يسعى هو دائما إليه... »[7].

ب)- شهادة جودت سعيد:

«... الجزائر بلد المليون ونصف المليون شهيد... ولكن أضيف إليهم مالك بن نبي، هذا المفكر العظيم الذي أعادني إلى طريق التفكير السليم بعد أن انزلقت بعيدا... إذ يكفي أنه صاحب مقولة: عندما تغيب الفكرة ينمو الصنم»[8].

ج)- شهادة عز الدين ميهوبي:

«مالك بن نبي هو المفكر الاستشرافي الذي يقول بعض عتاة الفكر الغربي فيه، إنهم ثلاثة نجحوا في اختراق أسوار العقل الأوروبي والغربي عموما، الجزائري مالك بن نبي والإيراني علي شريعتي والباكستاني أبو الأعلى المودودي...»[9]

د)- شهادة محمد الهادي الحسني:

«وقد تبين من البحوث التي ألقيت والمناقشات التي أعقبتها أن كثيرا من أفكار بن نبي وآرائه صالحة لإقامة نهضة شاملة في العالم الإسلامي، خاصة أن أصحاب هذه البحوث متنوعو التخصصات، وأن التجربة الماليزية التي اتخذت أفكاره قاعدة لها أثبتت صلاحها ونجاعتها... وأتساءل عن سبب عدم الترخيص لمؤسسة مالك بن نبي التي وضعت ملفها في وزارة الداخلية منذ ثماني حجج ؟ ... [10]»

رابعا- خلاصة:

محورية عملية التربية وأبعادها عند مالك بن نبي:

تحتل المسألة التربوية في فكر مالك بن نبي مكانة محورية. تناول هذا المفكر التربية كمفهوم، كما تناولها كعملية موضوعها ومحورها الإنسان، نظرا لعلاقتها الجوهرية والعضوية بالمشكلة الإسلامية وطبيعتها الحضارية، إذ غيبت نظرته الكلية للتربية تناوله لها إجرائيا - وهذا ما تم ذكره سالفا-؛ والتذكير به في هذا السياق هو إدراج أفكار بن نبي التربوية تحت ما أسماه "**مور**" بالنظريات العامة للتربية. وهكذا تبرز منطلقات وأسس وملامح النظرية التربوية العامة من خلال نصوص هذا المفكر المحكمة ونسق المفاهيم المتكامل، الذي نسجه عبر تحاليله المتمركزة حول شروط النهضة وبنائه الفكري والمنطقي لمشكلات الحضارة، مما يبرز الرباط القائم بين التربية والثقافة والسياسة والحضارة، إذ التربية عند بن نبي جهد علمي مخطط هادف وقناعة تمكن المجتمع من التجديد وبناء ذاته وصنع تاريخه وحضارته وإحياء مجده مثلما فعل إنسان الموحدين. وهكذا يبرز من ناحية أخرى بعد الأصالة والمعاصرة في جهود هذا المفكر الإسلامي المجدد الذي برز في الشرق كما في الغرب، بصفته مدرسة في الفكر الإسلامي، إلى جنب منظرين آخرين مثل باقر الصدر وعلي شريعتي الذين احتلوا مكان الصدارة لحد الآن بدون منازع في التنظير للتاريخ والحضارة (عليهم جميعا رحمة الله).

إن مالك بن نبي مفكر منتم، متشبع بالفكر الإسلامي والثقافة الغربية؛ فهو مزدوج الثقافة، خبر أسرار وأحوال أمته ونظر في سبل النهوض وترك تصورا وخطة لأجل البناء كما بنى الأوائل؛ و من ثم فهو

يبني فكره على أساس ابستيمولوجي متميز يصبو نحو الشمول والتكامل والأصالة، وبعد أنطولوجي واضح المعالم، وكذا أساس أكسيولوجي نابع كذلك من خلق الدين الإسلامي المتولد والمرتكز على عقيدة التوحيد؛ تلك هي المعالم الثلاثة التي قامت عليها أفكاره وتحاليله وأطروحاته وجهوده التربوية.

خامسا– النصوص والدراسات:

- النصوص وهي متداولة باللغتين العربية والفرنسية، وهو مترجم إلى الإنجليزية.
- الظاهرة القرآنية، 1946.
- لبيك، حج الفقراء، (وهي رواية) 1947.
- شروط النهضة، 1948.
- وجهة العالم الإسلامي، 1954.
- الفكرة الإفريقية الآسيوية، 1957.
- نجدة الجزائر، 1957.
- فكرة كومنولث إسلامي، 1958.
- مشكلة الثقافة، 1959.
- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، 1960.
- البناء الاجتماعي الجديد، 1960.
- تأملات، 1961.
- في مهب المعركة، 1960.
- ميلاد مجتمع، 1962.
- آفاق جزائرية، 1964.
- مذكرات شاهد القرن، (الجزء الأول: الطفل، 1965؛ الجزء الثاني: الطالب، 1970؛ الكاتب؛ الورقات)
- إنتاج المستشرقين، 1967.

مجلة حقائق

- الإسلام والديمقراطية، 1968.
- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، 1970.
- معنى المرحلة، 1970.
- بين الرشاد والتيه، 1972.
- المسلم في عالم الاقتصاد، 1972.
- دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، (وهي عبارة عن محاضرات) 1973.
- الدراسات **التي تناولت أعماله:**
- أسعد السحمراني، **مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا**، دار النفائس، ط:1، بيروت، 1404 هـ، 1984م.
- زكي الميلاد، **مالك بن نبي ومشكلات الحضارة**، 1992م.
- عمر بن عيسى، **مالك بن نبي في تاريخ الفكر الإسلامي وفي مستقبل المجتمع الإسلامي**، دار الفكر، دمشق 2007.
- عمر مسقاوي، **مقاربات حول فكر مالك بن نبي من على منبر الجزائر**، دار الفكر، دمشق 2008.
- بوبكر جيلالي، **إستراتيجية البناء الحضاري عند مالك بن نبي**، دار قرطبة، الجزائر، 1432 هـ،2011م.
- بوبكر جيلالي، **الإصلاح والتجديد لدى محمد إقبال ومالك بن نبي**، دار المعرفة 2010.
- Nakib Omar, **Malik Bennabi's approach to the educational problem in the Muslim world. Towards a new theory of education for the contemporary Muslim world.**

سادسا- المصادر والإحالات:

1- عمر النقيب، **مقومات مشروع بناء إنسان الحضارة في فكر مالك بن نبي التربوي، نحو نظرية تربوية جديدة في العالم الإسلامي المعاصر**، الشركة الجزائرية اللبنانية، ط:1، الجزائر 1430 هـ الموافق2009م.

2- مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، الجزائر.

3- مور، **مقدمة في النظرية التربوية**، مصر.

4- أسعد **السحمراني، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا**، دار النفائس، ط: 1، بيروت، 1404 هـ، 1984م.

5- مسعودان نور الدين، **مالك بن نبي، حياة وآثار، شهادات ومواقف**، دار نون للنشر والتوزيع، الجزائر، (د،ت).

6- **مسعودان** نور الدين، **مالك بن نبي بقلم معاصريه**، دار النون، الجزائر، (د، ت).

7- زهية **منصر، عمر كامل مسقاوي، صديق المفكر الراحل والوكيل الحصري لأعماله: بن نبي كان يكره السياسة وقد نصحني بعدم ممارستها، (حوار)** في: الشروق اليومي، 3506، السبت 17 ديسمبر 2011 م، الموافق 22 محرم 1433 هـ، ص: 15، بتصرف طفيف.

8- عز **الدين** ميهوبي، **مالك بن نبي يقرأ الربيع العربي**، في: الشروق اليومي، 3504، الخميس20محرم 1433 هـ، الموافق 15 ديسمبر 2011 م، ص: 17، بتصرف طفيف.

9- محمد الهادي الحسني، **من وحي ملتقى بن نبي بتلمسان أيام 12-14 ديسمبر 2011**، في: الشروق اليومي، 3511، الخميس 27 محرم 1433 هـ، الموافق 22 ديسمبر 2011 م.

10- **زهية** منصر، **تلمسان تعيد الاعتراف الرسمي لمالك بن نبي، تحتضن ملتقى دوليا حول المفكر الراحل تحت شعار: مالك بن نبي واستشراف المستقبل، من شروط النهضة إلى شروط**

الميلاد الجديد، في: الشروق اليومي، 3500، الأحد 16 محرم 1433 هـ، الموافق 11 ديسمبر 2011 م.

11- زهية منصر، **(حوار) محمد رفعت الفنيش يروي بعض ذكرياته مع مالك بن نبي، من ينفي عن بن نبي خدمة الثورة الجزائرية فهو واهم**، في: الشروق اليومي، 3504، الخميس 20 محرم 1433 هـ، الموافق 15 ديسمبر 2011 م.

مجلة حقائق